

إضاءات نقدية (فصلية محكمة)

السنة السادسة - العدد الحادي والعشرون - ربيع ١٣٩٥ ش / آذار ٢٠١٦ م

ص ٦٢ - ٤٣

مظاهر المفارقة في قصيدة "لمن نغني؟! " لأحمد عبدالمعطي حجازي

رقية رستم پورملكي (الكاتبة المسؤولة)*

إنسية خزعلي**

مریم غلامی***

الملخص

إنّ المفارقة هي لغة اتصال سرّي بين الكاتب والقارئ، ومن جمالياتها هي: الإيجاز والتعريب وازدواجية المعنى، وهي من أفضل وسائل التعبير بأسلوب غير مباشر، لإصلاح مثالب المجتمع؛ أمّا البحث فتناول المفارقة لغةً واصطلاحاً معتمداً على أهمّ المؤلفات في المفارقة، يلي ذلك عناصر المفارقة وأهدافها، مركزاً على دراسة تجليات المفارقة في قصيدة "لمن نغني؟! " للشاعر المصري المعاصر أحمد عبدالمعطي حجازي. (١٩٥٠-)

والبحث اعتمد على المنهج الوصفي - التحليلي، ويبرز ذلك من خلال تتبع أجزاء المفارقة وعناصرها، وتحليل تجليات المفارقة في القصيدة المختارة وهي "لمن نغني؟!"، ومحاولة استنطاقها لبيان الدور الذي أدّته في تجربة الشاعر. توصل البحث إلى أنّ القصيدة المدروسة هي كمسرحية تعتمد فيها المفارقة على الغموض، وتسم صاحبها بالسذاجة والغفلة أحياناً؛ إنّ الشاعر استخدم شتى أنواع المفارقة من اللفظية، والدرامية، والتغمية كأسلوب غير مباشر؛ لإظهار الظروف السائدة في مسقط رأسه مصر التي كبت فيها صوت الحرية، متمنياً إصلاح المجتمع.

الكلمات الدليلية: المفارقة، الشعر المصري الحديث، أحمد عبدالمعطي حجازي.

*. أستاذة مشاركة في فرع اللغة العربية وآدابها بجامعة الزهراء (س)، طهران، إيران

** . أستاذة مشاركة في فرع اللغة العربية وآدابها بجامعة الزهراء (س)، طهران، إيران

*** . طالبة الدكتوراه في فرع اللغة العربية وآدابها بجامعة الزهراء (س)، طهران، إيران

r.rostampour@alzahra.ac.ir

تاريخ القبول: ١٣٩٤/١٠/٢٥ ش

تاريخ الوصول: ١٣٩٤/٢/٥ ش

المقدمة

إنّ الحياة حافلة بمجملات من التناقضات والتضادات، وبما أنّ الأديب هو الذي يبدي كلّ ما يدور في المجتمع، ويحاول انعكاس صور المجتمع في الأدب، لهذا تظهر المفارقة في مظاهر شتى تتصل بالوجود والمجتمع والفرد؛ وليبيان مكانة المفارقة في الأدب يكفي أن نشير إلى قول توماس مان^١ حيث يقول: «إنّ المفارقة هي ذرة الملح التي تجعل الطبق شهياً.»

المفارقة في تعبير آخر، هي: صيغة من التعبير تفترض من المخاطب ازدواجية الاستماع، يعنى ذلك أنّ هذا المنطوق يرمى إلى معنى آخر يحدده الموقف، وهو معنى مناقض عادةً لهذا المعنى العرفي الحرفي. وبناءً على ذلك تعكس المفارقة نوعاً من التضاد بين المعنى المباشر للمنطوق والمعنى غير المباشر.

تشكّل المفارقة مكوناً أساسياً ومهماً في الشعر العربي، وقد نمت هذه الظاهرة في الشعر المعاصر، فهي ظاهرة فنية في لغة القصيدة الحديثة يستخدمها الشاعر المعاصر، مع ذلك لم تدخل كتنقية حديثة في مجال النقد العربي إلا مؤخراً، وجرى استعمالها أداةً لتحليل الخطاب الأدبي، خلال العقد الأخير من القرن الماضي؛ فعلى الرغم من توفر مادة غزيرة تتناول موضوع المفارقة نظرياً وتطبيقياً في الكتابات النقدية الغربية، فإنّ هذا الموضوع لم يلفت انتباه الدارسين المحدثين بعد، ذلك أنّ النقاد العرب لم يهتموا بهذه التقنية في تعاملهم مع مكونات الأساليب الشعرية والبلاغية في النتاجات الأدبية العربية قديماً وحديثاً. وليس السبب لهذا أنّ الأدب العربي يفترق إلى هذا النمط الأسلوبى والتقنى؛ بل كثيراً ما ركز الأدب العربي على هذه التقنية في بناء الأنماط المختلفة، كما تتوافر في النص القرآنى.

وأول من صنع المفارقة في الموروث القديم هو الجاحظ، الذي كان كلامه متناقضاً، وفي نفس الوقت تمسّسه السخرية، والمفارقة كمصطلح نقدي في الأدب العربي، ظهر مؤخراً في نهاية القرن الثامن عشر؛ ولها مضامين ودلالات قريبة وبعيدة يمكن فهمها من

الإشارات التي تنبّه القارئ. (البريسم، ٢٠٠٢م: ١٢)

١. هو أديب ألماني، ولد عام (١٨٧٥م)، وله روايات شهيرة.

كثيرا ما تعدّ المفارقة لغة العقل والفتنة، وليست لغة الروح والخيال والشعر كما ليست أثرا شعريا خلّاقا وإنما هي عملٌ فكريٌّ؛ وللمفارقة وظيفة مهمة في الأدب بشكل عام وفي الشعر بشكل خاص، فهي تثير الفتنة والانتباه في الشعر، ذلك لخلق التوتّر الدلالي في القصيدة عبر التضاد في الأشياء. (سعدية، ٢٠٠٧م: ٩-١٠)

ولما كانت المنهجية العلمية تفرض علينا ذكر الجهود السابقة؛ حتى ننصف الآخرين من جهة، ونبيّن طبيعة جهدنا المتواضع من جهة أخرى؛ فعليه يمكن الإشارة إلى بعض ما كتب في هذا الصدد، ومن أهمّها: بحثان لميويك ضمن موسوعة المصطلح النقدي أوّلها بعنوان المفارقة، وثانيهما بعنوان المفارقة وصفاتها؛ تناول الكاتب فيهما المفارقة وتطوّرها من حيث المفهوم والأنواع والعناصر والوظائف، غير أنّ الكاتب لم يتطرّق إلى المفارقة إجرائياً. والكتابان كما يتضح ينقسمان إلى أربعة أقسام، وهي:

(أ) المقدمة: وفيها بيان أهمية المفارقة.

(ب) طبيعة المفارقة: وفيه الكلام عن المفاهيم السابقة واللاحقة عن المفارقة وعناصرها.

(ج) اتخاذ المفارقة: وفيه الكلام على السخرية، والمفارقة اللاشخصية، ومفارقة الاستخفاف بالذات، ومفارقة الكشف عن الذات، ومفارقة التنافر البسيط.

(د) رؤية الأشياء بعين المفارقة: وفيه الكلام عن المفارقة الدرامية، ومفارقة الأحداث، ومفارقة الرومانسية.

فقد مهّد هذان البحثان السبيل أمام قارئ المفارقة في الأدب العربي بطريقة اتضحت معها جوانب خفية من تاريخ المفارقة، ومفهومها، وأشكالها؛ مع كلّ التداخلات الكائنة بين مفهومها وأشكالها.

أمّا مقالة فن المفارقة والتي نشرت عام (١٩٨٧م) لنبيلة إبراهيم في مجلة فصول المصرية فقد استطاعت الباحثة من خلالها أن تتعامل مع المفارقة في إطار من الحرية والتصرف. فجاءت دراستها مستقصية ومحدّدة للتعريف والضوابط المختلفة، ومحاولّة إبداء وجهة نظرها الخاصة أو فهمها المميّز للمفارقة من خلال أمثلة من التراث العربي القديم كما كان للمؤلّفة وقفة مع القصص العربي الحديث، من مثل كتاب حصاد الهشيم

لإبراهيم عبدالقادر المازني، و زهر الآداب وثمر الألباب للحصري.
وفي مجال دراسة المفارقة في الشعر، يمكن الإشارة إلى كتاب المفارقة في الشعر
العربي الحديث لناصر شبانة وهو تناول المفارقة على غرار ميويك من حيث تعريفها
وتقسيمها، وحاول أن يطبقها في الشعر المعاصر، لكنه لا يهتم بالبيئة التي أثرت على تجربة
الشاعر من خلال أسلوب المفارقة.

رغم كل هذه الدراسات في المفارقة لا توجد دراسة مرتبطة بالمفارقة في أشعار أحمد
عبدالمعطي حجازي بصورة مباشرة، فالدراسات المذكورة آنفاً، أفاد منها البحث الحاضر
من حيث مبادئها النظرية فقط. إذن هذا البحث فضلاً عن تحليل تقنية المفارقة في قصيدة
"لمن نغني؟! " للشاعر أحمد عبدالمعطي حجازي ودراستها لأول مرة، يحاول الإجابة عن
الأسئلة التالية:

١. ما الذي دفع حجازي إلى استخدام المفارقة في هذه القصيدة؟

٢. ما الأنواع المفارقة التي وظفها الشاعر في هذه القصيدة؟

أضواءً على المصطلح

المفارقة لغةً

ينبغي لنا قبل الخوض في غمار المفارقة على مستوى الإجراء التطبيقي أن نبدأ
بمقدمة نظرية لا بدّ منها؛ أن تكون لنا بمثابة الأرض الصلبة التي نبني عليها طوابق
من المفارقة في الأدب العربي. وبدايةً في هذه المقدمة النظرية كما دأب الدارسون في
تحديدهم لمصطلح، أو مفهوم على كتابة معناه اللغوي ثم الاصطلاحى. نبدأ بتعريف
المفارقة من خلال المعاجم اللغوية؛ ذلك لأنّ المادة اللغوية لأيّ مصطلح تحكى عن
منطق تنطلق منه الكلمة.

إنّ المفارقة، هى مصدر صريح^١ من فارق، ذلك لأنّ ما كان على وزن فاعلٍ من
الأفعال، مصدره الصريح يأتي على وزنين وهما مفاعلة وفعال؛ وجذرها الثلاثي فَرَقَ،
ومصدرها فرق؛ «والفرق في اللغة خلاف الجمع، فرقه يفرقه فرقاً وانفرق الشيء

١. غير أنّ عبد القادر الرباعي في دراسته المفارقة في شعر عرار يرى أنّ «المفارقة مصدر ميمي من فعل
فارق.» (الرباعي، ١٩٩٦م: ٣٠٣)؛ في حين لم يكن كل مصدر بيتداً بالميم مصدراً ميمياً.

وتفرقا وافتراقا، أي: باينه المفرق، وفرق له الطريق أي: اتجه له طريقان. «(ابن منظور، ١٩٩٧م: ٢٩٩) أما المفاعلة فهي لا تتحقق إلا بين اثنين أو أكثر، وهنا في المفارقة، الفرق هو العنصر الرئيسي في طبيعة العلاقة بينهما، وهذا التوتر يمكن أن نلاحظه في علاقات متناقضة وسلوكيات متباينة بين الناس، وفي أحوال مختلفة من مظاهر الكون وفي وجوه متضادة بين وقائع الحياة.

إن كلمة المفارقة لم ترد في القرآن الكريم مطلقاً، ولكن ورد المصدر القياسي الآخر فراق مرتين في القرآن الكريم في سورتي الكهف والقيامة: ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ (الكهف: ٧٨)، ﴿وَوَطَّنَ أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾ (القيامة: ٢٨) والفراق في الآيتين تعني البعد والنأي؛ وفي الآية الأولى يتحقق الفراق بين الشخصين، وفي الثانية يتحقق بين الإنسان والدنيا. أما مشتقات فرق فقد وردت ٧٢ مرة في القرآن الكريم، كلها جاءت في معنى عكس الجمع. فإذا يكون الجمع يعني التوحد والإجماع، فالفرق يعني التشتت وعدم الاتفاق.

عرفها صاحب القاموس بمعنى التباين والتشعب؛ فهي عنده: «الموضع الذي يفرق فيه الشعر، ومن الطريق: الموضع الذي يتشعب من طريق آخر.» (الفيروزآبادي، ٢٠٠٥م: ٩١٧) وفي أساس البلاغة ذكر تحت مادة فرق «بدا المشيب في مفرقه، فرق ومفرقة وفرقة، وفرق في الطريق فروقاً وانفرق انفراقاً، إذا إتجه لك طريقان فاستبان ما يجب سلوكه منهما.» (الزمخشري، ١٩٩٨م: ٢٠) وهذا التعريف لفرق يدلنا إلى معنى المفارقة الاصطلاحى الذي سنشير إليه.

أما ما سبق ذكره فقد كان بعض التعاريف التي جاءت ضمن المعاجم اللغوية القديمة، وفيما يتعلق بالمعجم الحديثة فقد ورد في المعجم الوجيز: «فرق بين الشئيين أي: فصل وميِّز أحدهما، وفارقه مفارقةً وفراقاً: باعده، وفرق بين القوم أي: أحدث بينهم فرقة، فرق القاضى بين الزوجين، أي: حكم بالفرقة بينهما.» (مجمع اللغة العربية، ١٩٤٤م: ٤٦٢) فأشار في كل تفاصيله عن الفرق، إلى الانفصال والنأي.

إذن من خلال هذا الحشد من المعاجم التي ذكر منها معنى فرق، يتضح جلياً أن جميع الصيغ المنتجة من الفرق سواء في القرآن الكريم أم في المعاجم العربية قديماً

وحديثاً، تعنى التباين، وما يفرق وينفصل بين شىء وآخر؛ وتؤكد على مدلول واحد، وهو الانقسام والابتعاد؛ فمدار المعنى اللغوى للمفارقة يكاد ينحصر في معنى الافتراق والتباين والانفصال؛ وخير ما يعبر عن المفارقة فيما سبق قول الزمخشري: «فرق له الطريق، أى: اتجه له طريقان.» فالمفارقة تبيّن للقارئ أكثر من طريق وتترك له حرية الاختيار، فعلى القارئ أن يوظف وعيه لاختيار الطريق المؤدى إلى المعنى الحقيقى، دون المعنى الزائف؛ فإذا اختار القارئ سلوك الطرق الزائفة لا شك أنه سيصبح ضحية أخرى من ضحايا المفارقة.

إشكالية مصطلح المفارقة في المعاجم الأجنبية

أما مفهوم المفارقة في إطار المعاجم اللغوية الأجنبية، فقد يندرج تحت عدة من المصطلحات، استناداً على مبادئ متنوعة تعتمد على هذه المعاجم في تصنيف مفرداتها اللغوية، كالاعتماد على الجذر اللغوى وتعريفه.

فلقد حدث التشابك في النقد الأجنبى، على سبيل المثال في الإنجليزية تشابكت حدود Irony مع مصطلحات عدة؛ مثلاً نرى في كتابات سعد مصلوح ترجمة لفظة Departure الإنجليزية (مصلوح، ١٩٩٢م: ٢٧)، غير أن كمال أبوديب اختار مصطلح Paradox ترجمةً للمفارقة. (أبوديب، ١٩٨٧م: ١٠٢) رغم وجود عدة مصطلحات في الإنجليزية للمفارقة يمكن القول بأن مصطلح Irony يشير إلى المفارقة وإلى السخرية بشكل خاص، وهو مشتق من الكلمة الإغريقية Eironeia، التى تعنى التصنع والادعاء، أى الاختفاء تحت المظهر الكاذب أو الخداع، وتصوير الحقيقة بشكل معاكس. (عبدالله محمد، ٢٠٠١م: ٦) ويتطلب من المتلقى المتدرب أن يكون له ما يسمى بازدواجية الإستماع Double Advance كى يكون قادراً على إدراك تجاوز سطحية المنطوق إلى معنى مفترض يكمن في هذا السياق بالذات.

ومصطلح Paradox يعنى التناقض الظاهرى الذى يحصل في المفارقة اللفظية، حيث نستطيع من الشكل اللغوى للكلمة أن نتوصل إلى وجود معنيين متناقضين أو متضادين، وهذا مشتق من الكلمة اللاتينية paradoxa. (العبد، ٢٠٠٦م: ١٥)

وأما عبد الواحد لؤلؤة فقد يذكر تجربته في اختيار لفظ المفارقة في العربية دون غيره مقابلاً للفظ Irony في الإنجليزية، قائلاً: المفارقة أحسن الحلول السيئة لترجمة الكلمة Irony إلى العربية، والكلمة في اللغات الأوروبية مشتقة من الكلمة الإغريقية آيرونيا التي تفيد التظاهر أو الادعاء، وهي صفة شخصية في الكوميديا الإغريقية باسم Irony، وتفيد المفرق، أي: الذي يفرق بين المظهر وواقع الحال... ولكن يصعب في العربية صياغة صفة أو ظرف من مصدر التفريق.

أما هذا البحث فقد يرجح Irony ترجمةً للمفارقة؛ لأنها تحتوي في بنائها على Paradox، مما يمكن لها أن تتسم به، أو حتى تعرف به؛ ومن ثمّ يمكن القول بأنه في كل Irony يمكن أن نجد Paradox، وليس العكس. والسبب الرئيسي، هو وجود سمة خاصة في بنائه اللفظي تجعله يتماثل مع عنصر هام من عناصر بناء المفارقة، وهي ثنائية الدلالة، كما سيتضح فيما بعد.

المفارقة اصطلاحاً

قد يكون من الصعب التوصل إلى تعريف محدّد لمعظم المصطلحات الأدبية والنقدية، خاصةً إذا كان المصطلح المقصود تعريفه شائك، كما هو الحال مع مصطلح المفارقة؛ ويؤكد هذا القول الفيلسوف الألماني نيتشة: «أنّ ما لا تاريخ له هو الذي يمكن تعريفه، أمّا ما يملك تاريخاً طويلاً تعريفه يصبح مسألة صعبة جداً.» (سليمان، ١٩٩٩م: ١٤) وهذا راجع إلى تعدد المفاهيم التي يمكن أن يحملها المصطلح إثر مروره بعصور وثقافات متفاوتة؛ فأصبح تعريف المفارقة لامتلاكها تاريخاً طويلاً، مسألة صعبة.

رغم هذا التوسع والتشعب في التعريف يعترف ميويك بصعوبة تعريفها ويرى أنّ الكتابة عن هذا الموضوع أقرب ما يكون إلى المخاطرة (ميويك، ١٩٣٣م: ١٨)، ويقرّ أنّه: «من العسير عليه - كناقذ أدبي - أن يجد تعريفاً دقيقاً ومختصراً يمكن أن يشمل كلّ أنواع المفارقة، ويستبعد ما يقع خارج نطاقها، وأنّ التمييز بينها من زاوية معينة قد لا يكون كذلك من زاوية أخرى.» (ميويك، ١٩٣٣م: ٤٢) فلا يمكن القول بأنه أحاط بمفاهيم مصطلح المفارقة، بل لا تزال كثير من جوانبه وملاحمه خارجة عن هذا التحديد.

غير أنّ ميويك حاول وضع تعريف مختصر وبسيط للمفارقة، حيث يرى أنّ «المفارقة قول شىء دون قوله حقيقة». (ميويك، ١٩٣٣م: ٤٢)، وهذا يعنى أنّه يتمّ التوصل إلى المغزى من التركيب أو النص، لا من خلال النص الظاهر، بل من خلال ما يكمن في اللفظ من دلالة لم يشر إليها القول الصريح.

إذن بنية المفارقة تقوم على اجتماع عناصر ثنائية متضادة، لا يتوقع لها أن يجتمع في سياق واحد أو موقف واحد؛ فقد نرى من المواقف والأقوال، ما يبيّن تجاهل العالم، وتعالّم الجاهل، وإنخداع الماكر، وما إلى ذلك من المظاهر التي تحمل في اجتماعها وبين طياتها، ذلك العنصر الذي يقوم على المفارقة. ويذهب ناصر شبانة بقوله: «يمكن القول بأنّ المفارقة انحراف لغوى، يؤدّي بالبنية إلى أن تكون مراوغة وغير مستقرة ومتعددة الدلالات وهى بهذا المعنى تمنح القارئ صلاحيات أوسع.» (شبانة، ٢٠٠٢م: ٤٦) وكذلك في تعريفها نرى «أنّ المفارقة نوعاً من التضاد بين المعنى المباشر للمنطوق والمعنى الغير المباشر له.» (العبد، ٢٠٠٦م: ١٥)

فالمفارقة لا تخرج عن كونها أسلوب أو صيغة بلاغية يستعملها المرء، ليقول قولاً أو يتصرّف تصرفاً يحمل معنيين أحدهما ظاهري سطحي والآخر باطنى. ومن أمثلتها أنّ إماماً ينصح ويعظ الناس بحسن الأخلاق وثباتها في حين يقوم بالردائل كسرب الخمر، أو أنّ أستاذاً ينهى تلاميذه عن الغش، لكنّه يقدّم الرشوة.

عناصر المفارقة

لمّا كان العمل الأدبي حلقة التواصل بين الكاتب والقارئ، فلا بدّ من عناصر الاتصال المتمثلة في المرسل والمتلقى والرسالة؛ وباعتبار المفارقة إحدى الأساليب ومكونات الأدب فلا ملاذ أن تتوفر فيها هذه العناصر حتى يحقق الغرض المقصود منها وهى:

١. المرسل: وهو صانع المفارقة، اللاعب المحترف، الذى يحكم خلق بناء المفارقة الشكلى، وفتحها في آن واحد. إنّه وجه لثلاث حالات: والأوّل حينما يقول شيئاً، بينما يقصد شيئاً مناقضاً، والثاني يقول شيئاً، بينما يفهم المتلقى شيئاً آخر، والثالث يقول شيئاً، بينما - في نفس الوقت - يقول شيئاً مخالفاً؛

٢. المرسل إليه: وهو المتلقى الواعي الحذر، الذي يعيد إنتاج الرسالة. الرسالة: وهى النص المفارق الخاضع للتأويل وحركية القراءة (سعدية، ٢٠٠٧م: ١٢) فبناءً على المواقف الثلاثة، يمكن القول: بأنَّ المفارقة هى إمَّا أنْ يعبر المرء عن معناه بلغةٍ توحى بما يناقض هذا المعنى أو يخالفه، إذ يستخدم لهجةً تدلُّ على المدح، ولكن يقصد السخرية أو التهكم، وإمَّا هى حدوث حدثٍ ولكن في وقتٍ غير مناسبٍ.

أهداف المفارقة

توظيف المفارقة فى النصوص يتحقَّق أغراضاً ثلاثة، وهى: «مباغثة القارئ لإثارة إنتباهه، تحفيز القارئ على التأمل وتنشيط فكره فى موضوع المفارقة، ومنح القارئ حساً اكتشافياً، يظهر فى نطاقه العلاقات الخفية التى تحكمت فى النص، ومن ثمَّ منعه من الانفعال المباشر السريع.» (شبانة، ٢٠٠٢م: ١٧) إنَّ للمفارقة وظيفة مهمة فى الأدب «فهى تعكس جوهرها من خلال الصراع بين الذات والموضوع، والحياة والموت، الداخلى والخارج، لأنَّها تعكس الرؤية المزدوجة للحياة.» (فريجة، ٢٠١٠م: ١١٦) فالمفارقة يمكن أن تكون سلاحاً للهجوم الساخر، أو تكون أشبه بستار رقيق يكشف عما وراءه من قصد الإنسان، وربَّما أنَّ المفارقة تهدف إلى إخراج ما فى قلب الإنسان ليرى ما فيه من التناقضات والتضاربات التى تثير الضحك.

نبذة عن حياة الشاعر

أمَّا أحمد عبدالمعطي حجازي، فهو شاعر وناقد مصرى، ولد عام (١٩٣٥م) فى محافظة المنوفية بمصر، حفظ القرآن الكريم وهو فى الرابعة من عمره؛ تدرَّج فى مراحل التعليم حتَّى حصل على دبلوم دار المعلمين عام (١٩٥٠م) ثمَّ حصل على ليسانس علم الاجتماع من جامعة السوربون الجديدة عام (١٩٧٨م)، وأخذ شهادة الدراسات المعمقة فى الأدب العربى.

يعدُّ أحمد عبدالمعطي حجازي فى طليعة شعراء المدرسة الحديثة فى الشعر العربى، وله تجربة شعرية طويلة واكبت مختلف التحولات التى عرفتها القصيدة العربية الحديثة، وأسهم فى العديد من المؤتمرات الأدبية فى كثير من العواصم العربية. سافر إلى فرنسا

حيث عمل أستاذاً للشعر العربي بالجامعات الفرنسية، ثم عاد إلى القاهرة ليعمل محرراً في جريدة الأهرام، ويرأس تحرير مجلة إبداع التي تصدر عن الهيئة المصرية للكتاب. (زيزى، ٢٠١٢م: ١-٢)

إن دراسة الشاعر في علم الاجتماع وعمله الصحفي جعله يعيش مع آلام مجتمعه، فلا يرى بدأً إلا أن يكتبها، في حين إن الظروف الحانقة في المجتمع جعلته ينشد أشعاراً مفارقة آملًا بإصلاح شعبه؛ فصدر له المؤلفات العديدة، منها: محمد وهؤلاء، الشعر رقيقى، مدن الآخرين، عروبة مصر، وأحفاد شوقى؛ ومن دواوينه الشعرية: مدينة بلا قلب، مرثية العمر الجميل، وكائنات مملكة الليل، وفي معظم آثاره نلاحظ أن روح المفارقة قد هيمنت عليها.

تجليات المفارقة في قصيدة "لمن نغنى"

أمّا القصيدة المختارة، فهي قصيدة "لمن نغنى؟! من ديوان الشاعر الأول، أى ديوان مدينة بلا قلب. الشاعر يصور لنا في نصه هذا، معاناة الفلاح الكادح في الريف، وذلك في ظل هيمنة وتسلط النظام الإقطاعى، الذى حرّم هذه الشريحة الكادحة من أدنى حقوقها المشروعة. وقد جاءت المفارقة في هذا النص، ضمن مجموعة من الصور الشعرية المتضمنة بمكابدات الشاعر في حال تشجيعه الفلاحين للثورة ضد الاستغلال. أمّا المفارقة قد تنوعت في القصيدة بين المفارقة اللفظية والدرامية، كما توجد مفارقة النغمة والسلوك؛ والبحث يحاول فيما يلى تبين أنواع المفارقة الكامنة في القصيدة.

مفارقة النغمة

كما يعتبر محمد العبد مفارقة النغمة نوعاً من التهكم الذى يبدو ذمّاً في ثوب المدح. ومما يضيفه أيضاً أن هناك نوعاً آخر من مفارقة النغمة، وهو توجيه إهانة في كياسة أو أدب، لكن يشترط في هذا البعد عن المغالاة أو المبالغة. (العبد، ٢٠٠٦م: ٤٢) فمفارقة النغمة أكثر «إرتباطاً بالأداء المنطوق على الكلية ويظهر فيها التضاد بين ظاهر المنطوق وباطنه، وبين سطحه وعمقه.» (نفس المصدر: ٥٣)

وفي هذا المجال يمكننا الوقوف أمام عنوان القصيدة، لاستخلاص كوامن المفارقة فيها لغةً ومضموناً، ذلك لأنَّ العنوان في الأعمال الإبداعية شعراً أو نثراً، وحتى في المقالات الصحفية، السياسية، الاجتماعية أو الاقتصادية، هو الرسالة الأولى التي يرسلها الكاتب إلى المتلقى، وتلعب لغة العنوان وتركيبته الصوتية والسياقية دوراً فاعلاً في الإيحاء بدلالة النص، ومن يتمَّ جذب المتلقى إليه. (عبدالكريم، ٢٠٠٩م: ٥٢)

لمن نغني؟! (حجازي، ١٩٩٣م: ٢٩)

إنَّ العنوان ممزوج بروح المفارقة، حيث نرى أنَّ الإحساس بالتباين الشديد بين الأمل واليأس، قد أثار في نفس الشاعر شعوراً بالترديد، وتكمن المفارقة هنا بين ما كان يأمله الشاعر وما يتمناه بل ويتوقعه، وبين ما سيحدث من قبل الفلاحين، وهو مخالف تماماً مع توقعات الشاعر.

ذلك بأنَّ الشاعر يحاول أن يعي الفلاحين ويشورهم ضد الاستغلال، في حين هو يعرف إنَّه لا جدوى من هذه المحاولة، فإنَّه يكشف عن حالته بين الخوف والرجاء والاستغراب بأسلوب الاستفهام والتعجب. فهذه المفارقة التي حدثت في العنوان هي مفارقة النعمة، لأنَّ الشاعر يعبر عن أمله الممزوج باليأس من خلال أسلوب الاستفهام والتعجب، وهذا أدَّى إلى ظهور النعمة التهكمية في القصيدة؛ فالعنوان هنا يعبر عن حالة التناقض والتضاد التي سيطرت على روح الشاعر، وإمتدت إلى كامل النص، باعتبار أنَّ العنوان هو جزء من الدلالة الكلية للنص، وهذا هو أهمُّ مبدأ تقوم عليه المفارقة. وهذه المفارقة في العنوان هي التي تنفذ النص من البرودة، وتبرز عادةً في الظواهر الاجتماعية والمواقف السياسية. وما نلمح في العنوان من ميزة مفارقة النعمة، نراه وهي نعمة عالية، لاظهار التهكم على المستويين اللفظي والتركيبي. (شحادة، لاتا: ٧)

وصنعت من نغمي كلاماً واضحاً كالشمس

عن حقلنا المفروش للأقدام

ومتى نقيم العرس؟

ونودّع الآلام؟

(حجازي، ١٩٩٣م: ٣٣)

كلّ شيء جاهز لإشعال نيران الثورة والتحرّر، حتّى تقيم أعراس الفرح بعد استرداد الحرية، وتوديع الآلام والأحزان والمتلقى يتوقع هذا الأمر، لكنّ الشاعر بسؤاله عن زمن إقامة الأعراس ووداع الآلام، يريد هدم كلّ ما في ذهن المتلقى، ويوحى ببطئ الوعي والثورة وفي النهاية إقامة حفلة الحرية، فسرى هنا النغمة التهكمية ظهرت عن طريق أسلوب الاستفهام.

والشاعر ضمن هذا المقطع حاول أن ينبّه الفلاح ويقنعه للثورة، و المتلقى ينتظر الثورة، لكنّ الفلاح مازال لا يعي بالأمر، والشاعر بهذا السؤال يعبر عن يأسه وعدم نجاحه، وبالنغمة التي توحى باليأس وفقدان الأمل.

أين الطريق إلى فؤادك أيّها المنفى في صمت الحقول
لو أنّي ناي بكفك تحت صفافه
لأخذت سمك لحظة في هذه الخلو

(حجازي، ١٩٩٣م: ٣٣)

هنا يخاطب الشاعر الفلاح قائلاً: أين الطريق إلى قلبك المرفف وعقلك في غيابات حقول العقل، يا من يعمل ويكدح دون ثمرة، هل أستطيع أن أتسرّب إليهما مع نغمات الناي الحزينة التي تفسح عن آلامك؟!

كذلك يتحدث الشاعر عن آماله وأحلامه، رغم أنّه يعرف أنّ هذا الانسان الغافل لا طريق للتسرّب في قلبه، فيعبر عن هذه المعرفة بـ"لو" وبالاستفهام يعرف جوابه وهو "لا"، لا يوجد طريق إلى قلب الغافل؛ ولكن رغم هذه المعرفة، يتمنّى أن يكون نغمة على شفاه الفلاح؛ ليحرّك فيه هذه الثورة الساكنة، فلحن الشاعر التهكمي يشير إلى مفارقة النغمة.

المفارقة اللفظية

تعتبر المفارقة اللفظية أكثر أشكال المفارقة تعريفاً، حيث أجمع على تعريفها وتوضيحها كلّ من كتبوا عن المفارقة وأماطها، إذ أنّها تمثّل القاسم المشترك في الدراسات التي تناولت المفارقة وأبحاثها، وهذا ما قاله شبانة: «المفارقة اللفظية لا تخرج عن كونها دالاً،

يؤدّي مدلولين تقبيين أحدهما قريب نتيجة تفسير البنية اللغوية حرفياً، والآخر سياقي خفي يجمد القارئ في البحث عنه واكتشافه. «شبانه، ٢٠٠٢م: ٦٤) وقول ميويك هو: «المفارقة اللفظية انقلاب في الدلالات.» (ميويك، ١٩٨٨م: ٣٢) وقد جمع عناصر لتحقيق المفارقة اللفظية، وهي:

«عنصر يتعلق وجوده بالمغزى، وهو مقصد القائل، وهذا العنصر قد يتراوح في درجات عنفه وقوته بين العدوان والتدليل اللين وجود عنصر لغوي أو بلاغي يمثّل عملية عكس الدلالة، فالشرط الأساسي في إدراك المفارقة هو التضاد؛ ولإدراك المفارقة ينبغي أن ننقذ من الفعل اللغوي أو اللفظي إلى الفعل الإنجازي، ومن القول إلى مقصد القائل وفي المرحلة التالية، يترك مقصد القائل تأثيره الذي يصل إليه منّا بواسطة بنائه على المفارقة في المستمع أو المخاطب.» (العبد، ٢٠٠٦م: ٥٥)

ولدت هنا كلماتنا

ولدت هنا في الليل يا عود الذرة

(حجازي، ١٩٩٣م: ٢٩)

كتب الشاعر أول بواكيره الشعرية في الريف، وفي ليله المظلم البهيم، بين الحقول التي تعاني من الظلم والاستغلال. يقول الشاعر: "ولدت هنا" فالولادة هي البشارة والفرح، في حين يفاجئ المخاطب بكلمة "الليل" وهو يوحى بالظلمة والأسى. فهنا ظهرت المفارقة اللفظية؛ ذلك بأن الشاعر أتى بكلمتين معاً، كلّ واحد منهما يوحى المعنى الذي يناقض الأخرى، وهذا التناقض لا يكون إلا بسبب سيطرة التناقض والتشائم معاً على إحساس الشاعر. ومن ثمّ الشاعر ينادي عود الذرة وقوت الفلاح؛ ذلك لأنّ الشاعر فقد أمله عن الناس، فبهذا النداء يستهزئ الفلاحين ولا يحسبهم إنساناً.

يا نجمة مسجونة في خيط ماء

(نفس المصدر: ٢٩)

يخاطب الشاعر نجمةً، والقارئ يشعر بأنّ الشاعر اعتمد على الفلاح وأراد أن يمدحه، غير أنّ الشاعر يكسّر هذا الفضاء بنعتٍ للنجمة وهو "مسجونة" وأراد بهذا سلب الإرادة والحريّة عن الفلاح، ثمّ يواصل كلامه بـ "في خيط ماء" ومن يعيش في خيط

ماء يصارع للبقاء، كأنَّ الشاعر واقفٌ بين الأمل واليأس؛ والشاعر يريد مدح الفلاح من جهةٍ وذمه من جهةٍ أخرى، والشاعر يخلق هنا ازدواجية الألفاظ عن طريق التعت.

كلماتنا مصلوبةٌ فوق الورق

وأنا أريد لها الحياة

تمضى بها شفةٌ الى شفةٍ، فتولد من جديد!

(حجازي، ١٩٩٣م: ٣٠)

الشاعر يقول كلماتنا مصلوبة، في حين أنَّ الكلمة ليست إنساناً كي يصبح مصلوباً، فكيف يمكن هذا؟! الشاعر أراد بالمصلوبة عدم استماع كلامها من قبل الفلاحين. غير أنه يأمل للكلمة المصلوبة الحياة والروح ويتمنى تولد كلامه من جديد. فكيف يمكن الحياة للمصلوب؟! فالشاعر بهذه التناقضات يعبر عن شعوره المفارقة المسيطر عليه. وكما نرى في تعريف المفارقة اللفظية: «هي شكل من أشكال القول يساق فيه معنى ما، في حين يقصد منه معنى آخر يخالف غالباً المعنى السطحي الظاهر.» (العبد، ٢٠٠٦م: ٥٤)

يا أيها الإنسان فى الريف البعيد!

أدعوك أن تمشى على كلماتنا بالعين، لو صادفتها

كى تنبت الأزهار فى نفس الجميع

كى لا يجبَّ الموتَ إنسان على هذا الوجود!

(حجازي، ١٩٩٣م: ٣١)

يخاطب الشاعر الإنسان كما يخاطبه في مطلع القصيدة، أى: الانسان في الريف البعيد! وهذا يعنى أنه ما زال مأبوس بصحوة الفلاح، والبعد العقلي هو قصد الشاعر لا البعد المكاني.

ثم يدعو الشاعر أن يمشى الفلاح على كلماته، والمشى على الشيء يعنى عدم الانتباه به، فالقارئ يقف في موضع متناقض من كلام الشاعر، غير أن هذا التناقض اللفظي يزيل بكلمة العين، فيصبح غرض الشاعر الانتباه بكلامه؛ ثم يقول "لو صادفتها"، والشاعر جاء بلفظة "لو" وهى حرف امتناع لامتناع وهذا يتناقض مع أمل الشاعر .

ولدت هنا كلماتنا

لك يا تقاطيع الرجال النائمين على التراب
وبجانب العينين طيرٌ ناصعُ الزرقة
مدَّ الجناحَ على اصفرارٍ كالعدم
وهفا ليرتشفَ الدموع

(نفس المصدر: ٣٢)

الولادة هي البشارة، بشارة الخير والبركة، لكنّ الشاعر جاء بألفاظٍ ك: النائم وهو رمز للموت لدى الشاعر، الزرقة وهي رمز للعداوة، الاصفرار وهو رمز للعدم والزوال، وارتشاف الدموع رمز للحزن والمهوم، فكل هذه الألفاظ يرموزها ترسم صورة المفارقة اللفظية مع كلمة الولادة.

وتلوت في هذا السكون الشعريّ حكاية الدنيا
ومعارك الإنسان والأحزان في الدنيا

(نفس المصدر: ٣٣)

كما نلاحظ المفارقة اللفظية هي تغيير في المعنى، أو تغيير للكلمة من المعنى المباشر إلى المعنى غير المباشر، والتضاد هو الشرط الأساس فيها؛ فهنا رغم أنّ "التلاوة" تأتي للقرآن الكريم والخير ولكن الشاعر استخدمها لحكاية الأحزان والآلام، وهذه هي المفارقة اللفظية.

مفارقة السلوك والحركي

مفارقة السلوك تشير إلى «عملية التصور العقلي، أو تكوين صورة عقلية واضحة لكلّ الأشياء، ويبني التضاد في هذا النوع على أساس التعارض بين اللفظ ومسلكه والغاية منها النقد.» (العبد، ٢٠٠٦م: ٦٩)

«ترسم هذه المفارقة صورة للسلوك الحركي للذي تقع منه وعليه، عناصرها ومكوناتها؛ وتعدّ المفارقة حركة عامة، تبرز فيها عناصر خاصة مثيرة للغرابة والسخرية.» (شحادة، لاتا: ٩) أي المعنى غير المباشر الذي يتضاد مع حقيقة الشيء، فينتج عنه معنى الاستهزاء والسخرية. وكما نلاحظ هناك المفارقة بين الأمّ ومسلكها الحنان والعطوفة

وما تفعله الآن، أي: الكف عن العطاء.

يا ثدى أمّ لم يعد فيه لبن
يا أيّها الطفل الذى ما زال عند العاشرة
لكنّ عينيه تجوّلتا كثيراً فى الزمن

(حجازى، ١٩٩٣م: ٢٩)

يخاطب الشاعر النيلَ معبراً عنه بالأمّ، فانتقى لذلك أجمل وأروع الصور المعبرة عن هذا الواقع المرير، حيث إنّ الأمّ مظهر العطفة، فاخترها بدلاً عن النيل ليظهر مدى خصوبته ولكن هنا الأمّ لا تعطف لأبنائها، وكفّت عن العطاء، ها هنا ظهرت صورة مفارقة من جديد؛ ثمّ يخاطب الأطفال فى سن العاشرة، الذين يتخلج فى نفوسهم الأمل ويصارعون من أجل البقاء.

إنّ الشاعر بهذا النداء يدعى بأنّ معاناة أعواد الذرة للوصول إلى قطرة من المياه، لا تختلف عن معاناة أطفال الرّيف، الأطفال الذين فى وجودهم الروح وقدرة التعقل لافرق بينهم بين النبات، وهما محرومان من أدنى حقوقهما المشروعة، الماء بالنسبة للذرة والحريّة بالنسبة للطفل.

فالشاعر اكتشف فى هذا المقطع عن الألم والحزن والأسى، الشاعر ينادى النبات والإنسان وبهذا يريد أنّ الإنسان والنبات لهما قيمة واحدة فى هذا الرّيف.

يا من تعاشر أنفساً بكما لا تنطق

وتقودها،

(نفس المصدر: ٢٩)

يشير الشاعر إلى الكما فى فم الإنسان التى أدت إلى كبت صوت الثورة، ولكن الفلاح رغم تبعه من هذا الأمر، ورغم عيشه فى خيط ماء بالصعوبة، تقود الكما حيثما يذهب؛ فمفارقة السلوك ظاهرة هنا؛ ذلك لأنّ الإنسان بسبب امتلاك قدرة التعقل عادةً لا يتحمّل الظلم، ولكن الفلاح رغم الصعوبة التى يراها من قبل الإقطاعيين لا ينبس ببنت شفة بل يقود الكما مع نفسه دوماً دون الاعتراض.

وأنا الذي هرولت أياماً بلا مأوى، بدون رغيـف
كى تخرج الكلمات راجفة، مروعة بكل مخيف

(حجازي، ١٩٩٣م: ٣٢)

ثمّ يشير إلى محاولاته، ولكن دون المأوى والرغيـف، ويرمز بذلك إلى عدم وجود
الأنصار ونتيجة ذلك خروج الكلمات راجفة ومخيفة، والانسان يهرول ويحاول ليصل
إلى أفضل النتائج، ولكن شاعرنا يهرول لخروج الكلمات راجفة ومخيفة، وهذه هي
مفارقة السلوك.

يا أيها الإنسان في الريف البعيد
يا من يصمّ السمع عن كلماتنا... بالعين لو صادفتها
كيلا تموت على الورق

(نفس المصدر: ٣٠)

يخاطب الشاعر الفلاح الريفى والذى فرض عليه واقع عمله الزراعى أن يكون
بعيداً لا من حيث المكان، بل البعيد من التعقل والوعى، فالشاعر استفاد بدلاً من عدم
التعقل والبعد عن الوعى، البعد المكاني، ونعرف بعد المكاني لا يحسب عاراً، بل العار
هو البعد عن الوعى؛ والشاعر يحاول من خلال هذا استهزاء الفلاح، ليؤثر على روحه
و قلبه.

فأنا الذى عاجلت نفسى بالهوى
كى تخرج الكلمات دافئة الحروف

(المصدر السابق: ٣٢)

والشاعر عاجل نفسه بالهوى، فكيف يمكن المألجة بالهوى؟! نهى العظماء والكبار الانسان
عن الهوى، مشيراً إلى أنّها هى تؤدى إلى الشقاوة، ولكن الشاعر يعالج نفسه بالهوى، وهذه
الصورة المفارقة تعنى أنّ الشاعر يئس عن الدواء، وهى وعى الفلاحين فلجأ إلى الداء؛
وهنا يحضرنّا كلام أبى نؤاس الشاعر الشهير فى العصر العباسى حينما يقول:

«دع عنك لومى فانّ اللوم إغراءٌ وداونى بالتى كانت هى الداء»

فالشاعر فقد الأمل ولجأ إلى الهوى التى حصيلتها هى الشقاوة، ولكنه يعالج نفسه

بالهوى كى تنتج الدفئ وهذه هى مفارقة السلوك والحركى.

المفارقة الدرامية

إن مصطلح المفارقة لم يأت عفويًا، بل إن جذوره لها إرتباط وثيق بالمسرح، حتى أنها تسمى مفارقة سوفوكليس^١ نسبةً إلى المسرحى المعروف سوفوكليس (شبانة، ٢٠٠٢م: ٦٦) بما أن المسرح ما هو إلا اختصار لحياة الناس ومحاكاة لأعمالهم، فلا محالة أن يكون أبطاله وجمهوره هؤلاء الناس، ولما كانت المفارقة أساسها التناقض الذى يكتشفه المراقب فإن المفارقة الدرامية تقوم على بنية العمل أكثر من إعتمادها على علاقة الكلمات بدلالاتها. (فريجة، ٢٠١٠م: ١٨) وللمفارقة الدرامية شروطٌ لتحقيقها، وهى:

«توافر التواتر فى العمل من خلال وضع شخصية، تتسم بالغفلة فى مقابل أخرى أقوى منها؛ وأن تكون الشخصية الأولى غافلة جاهلة بالظروف التى حولها مما يولد التناقض بين المظهر والحقيقة؛ وأن يكون الجمهور على علم تام بالوضع الحقيقى للشخصية الغافلة التى هى ضحية المفارقة، إذ كلما كان الجمهور على علم سابق، بما سوف تكتشفه الضحية فيما بعد ازداد تأثير المفارقة فيه.» (شبانة، ٢٠٠٢م: ٦٩)

أسقط عليها قطرتين من العرق

كيلا تموت

فالصوت إن لم يلق أذنًا ضاع فى صمت الأفق

(حجازى، ١٩٩٣م: ٣٠)

إن الشاعر يبحث عن قلبٍ واعى معبراً عنه بأذن، ليشير إلى يأسه ممتزجاً بالأمل، يريد القلب وهو ذروة أمله، ويريد بذل الجهود كى تصل كلماته إليه. فى حين يقول أريد الأذن، لأن لا أمل يبقى له بسبب كسولة الناس فالكلام الذى لا يُسمع لا جدوى من نطقه. فى هذا المقطع الرجاء واليأس ممتزجان، وروح المفارقة الدرامية ظاهرة، الشاعر يدعو الفلاحين إلى استجابة كلماته محذراً عن حصيلة عدم الاستجابة، والتناقض ظاهرٌ بين ما يأمل الشاعر وما يفعل الفلاح؛ والشاعر يعرف عاقبة الفلاح تماماً. والمفارقة الدرامية

١. ولد عام (٤٩٦ ق.م) بأثينا، وهو أحد آباء المسرح الإغريقى. (Sophocles)

ظاهرة بين العنوان وفضاء القصيدة، حيث نرى التعارض أو التناقض الشديد بين الأفكار في النص. الشاعر يعرف مدى غفلة الفلاحين ومصيرتهم، ولكن يحاول ويسعى لتغيير مصيرة الفلاحين السيئة. ولقيام المفارقة الدرامية لابد من وجود علاقة مبنية على التضاد بين ما تعمله الشخصيات وما يعمله الجمهور؛ فإن مشاعر الجمهور كما يقول محمد العبد: «ينتابه نوع من الخوف ما بين الترقب والتعاطف.» (العبد، ٢٠٠٦م: ٦٧) فهذه القصيدة كمسرحية، الشاعر فيها يحاول إيقاظ الفلاح، والفلاح هو الذي غافل عن الوعي والثورة.

النتيجة

إنّ المفارقة هي اللغة التي تعبّر عن شيئين متباينين، والمبدع هو الذي يثير انتباه المتلقى ويحثّه على التفكير في معنى الألفاظ، والبحث عن المعنى غير الظاهر؛ فهي لغة التواصل والاتصال بين الكاتب والمتلقى. كما وجدنا أنّ الشعر العربي المعاصر، اعتمد في بناء نسيجه على عنصر المفارقة؛ وأغلب القصائد الشهيرة في الشعر العربي تعتمد في شعريتها وبنائها اللساني على المفارقة؛ ولكن ليس كلّ شاعر قادراً على أن يتلبس بفلسفة المفارقة، إنّ المفارقة لا يقدم عليها إلا الشعراء الكبار، ويفرّ منها من كانت تجربته بسيطة ومحدودة؛ أمّا أحمد عبدالمعطي حجازي بوصفه أبرز الشعراء المصريين، وبصفته مهتماً بالسياسة السائدة في وطنه، فإنه استفاد من أسلوب المفارقة لتبيين الظروف السياسية والاجتماعية السائدة في مصر آنذاك.

أكثر أنواع المفارقة اسخداماً في هذه القصيدة المفارقة اللفظية ومفارقة السلوك الحركي، والسبب في ذلك تشجيع الناس مباشرةً إلى الثورة والاحتجاج ضدّ الظلم. ومن أغراض الشاعر في استخدام المفارقة: المبالغة وهي وسيلة لإبراز المعاني وتأكيدّها، والسخرية التي لازمة من لوازم المفارقة، لأنّها تكون أكثر تأثيراً إذا اجتمع فيها عنصر السخرية. إنّ المفارقة في أشعار حجازي، لا تعني الاختلاف أو التباين فقط في النص أو الجملة المعبرة، بل التعارض أو التناقض الشديد بين الأفكار في النص المكتوب؛ وكما نلاحظ المفارقة هي التي تنقذ النص من البرودة. وأكثر ما تبرز في اللغة الساخرة المجادة للظواهر الاجتماعية والمواقف السياسية.

استطاع حجازي مع لغته المفارقة في هذه القصيدة أن يخلق الصورة المتناقضة، صورة من مدينته الفاضلة وهي حافلة بالرفاهية والسرور للبشرية الجمعاء، وصورة من الفلاحين الذين لا يسمعون ولا يفكرون بالثورة والحرية. رغم أنّ الشاعر يعبر عن بأسه من الثورة، لكنّه يحاول دوماً وهو يعرف النتيجة، ونرى كلّ هذه المحاولات ضمن صورة مفارقة درامية في كلّ القصيدة من المطع حتى نهايتها، غير أنّنا نرى مفارقة النغمة، والمفهوم، والسلوك... في القصيدة تتمهّد الأرضية لظهور قصيدة حافلة بالتناقض، ولعبت الأساليب البلاغية، أداة الاستفهام، وعلائم التقييم دوراً هاماً في ترسيم الصور القصيدة المفارقة بشكل عام ومفارقة النغمة بشكل خاص. وأخيراً البحث يقترح على الباحثين، القيام بمقارنة المفارقة والأساليب البلاغية في ديوان الشاعر، لتضمّن ثروة عظيمة من الأساليب القريبة من المفارقة.

المصادر والمراجع

- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم. ١٩٩٧م. لسان العرب. ج ١٠. بيروت: دار صادر.
- البريسم، قاسم. ٢٠٠٢م. المفارقة في شعر عدنان صائغ. النمسا: لانا.
- الزحشري، محمود بن عمر. ١٩٩٨م. أساس البلاغة. المجلد الثاني. بيروت: دار الكتب العلمية.
- زيزي، شوشة. ٢٠١٢م. أحمد عبد المعطي حجازي. حصّاد الشعر. مصر: لانا.
- سعدية، نعيمة. ٢٠٠٧م. المفارقة. مجلة جوان. بيروت: لانا.
- شبانة، ناصر. ٢٠٠٢م. المفارقة في الشعر العربي الحديث. دمشق: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- شحادة على، عاصم. لانا. المفارقة اللغوية في معهود الخطاب العربي. مجلة الأثر. العدد العاشر. ماليزيا.
- حجازي، أحمد عبد المعطي. ١٩٩٣م. الأعمال الكاملة. الكويت: سعاد الصباح.
- عبدالكريم على، آمنة. ٢٠٠٩م. المفارقة في شعر ابن رومي. رسالة ماجستير. العراق: جامعة بغداد.
- العبد، محمد. ٢٠٠٦م. المفارقة القرآنية. القاهرة: دار الفكر العربي.
- فريجة، بيرير. ٢٠١٠م. المفارقة الأسلوبية في مقامات الهمذاني. رسالة الماجستير. الجزائر: جامعة قاصدي مرباح.
- مجمع اللغة العربية. ١٩٤٤م. المعجم الوجيز. بيروت: لانا.
- ميويك، سى. ١٩٩٨م. المفارقة وصفاتها. ترجمة عبد الواحد لؤلؤة. المجلد الرابع. لامك: المؤسسة العربية لدار النشر.
- نبيلة، إبراهيم. لانا. فن القص في النظرية والتطبيق. مصر: مكتبة الغريب.